العالم المسرحي والسينمائي

التأليف والترجمة للمسرح

حديث للأستاذ زكي طليمات

لناقد « الرسالة » الفني

قبلت الفرقة القومية استقالة الأستاذ طليمات ، كما ألغت وزارة المعارف انتدابه للعمل في هذه الفرقة ، فحرم المسرح في مصر من جهود شاب نشط مثقف أرسلته الحكومة الى فرنسا ليدرس التمثيل والاخراج كي تنتفع به في النهوض بهذا الفن

ولسنا ندري حقيقة الدوافع التي حدت بالأستاذ طليمات الى تقديم استقالته ، ولكننا علمنا أنه ضمنها كتابه الذي رفعه الى الأستاذ الكبير محمد العشماوي بك وكيل وزارة المعارف ، ولذلك قصدت الى الأستاذ طليمات وسألته أن يطلعني على صورة من هذا الكتاب ، فأبى ورفض أن يدلي بأية تفاصيل ، ولكنه أمام الالحاح صرح بما يلي :

« لم أستقل لامن أجل زيادة مرتب أوطلب مركز أوخلافه ، وإنما استقلت لأنني غير قادر على تقوية ضعف أرى الفرقة تنساق اليه يوماً بعد يوم

كنت مغلول اليدين مشدوداً الى خشبة تعذيب ، أرى وأتألم وأصيح ولا يستمع لي أحد ، وهذا عذاب لا يطاق

فاستقالتي إنما هي لأراحة ضميري »

ولم يرض الأستاذ طليمات أن يزيد كلمة على هذا التصريح بل جعل ينتقل بالحديث من موضوع الى آخر حتى عرض لنا موضوع التأليف والترجمة للمسرح فوجهت اليه السؤال التالي :

مارأيك في الروايات المصرية التي أخرجتها أو اطلعت عليها ؟

فأجاب « رأيي أن المسرحية المصرية لم تستكمل بعد مقومات نضوجها ، وما برحت تفتقر إلى الطابع الأصيل الذي يميزها عن الرواية الغربية ، إذ لا يخفى عليك أن الجمهور المصري لم يتعرف الى المسرحية في اللسان العربي إلا منذ سبعين عاما ، والأدب القديم خلو منها على الرغم مما يذخر به من المخلفات الممتعة في مختلف العلوم والفنون

أدبنا العربي الحديث يفتقر الى الوراثة المهذبة في فن صياغة القطعة المسرحية . وليست له تقاليد فيها ، فنحن ما برحنا في دور النقل والتقليد والاستساغة ، نأخذ عن المسرح الغربي في صياغة مسرحياتنا وننحو نحوه ، ولابد لنا أن نجتاز هذه المرحلة قبل أن يستقر وضع أصيل للمسرحية المصرية . غير أن هذا لا يحجزني عن التصريح بأن بيننا نفرا من المؤلفين المصريين قد وفقوا كثيرا في تأليف روايات متينة البناء قوية الحبكة جاء حوارها قويا في سلاسة وسهولة . فهنالك أمثال : (ابراهيم رمزي) ، (عباس علام) ، (المرحوم محمد تيمور) يأتون في مقدمة هذا النفر . وجاء أخيراً (توفيق الحكيم) فأضاف ذخيرة جديدة إلى محصولنا في آداب المسرحية المصرية

وأهم ما آخذه على أكثرية المؤلفين المصريين أنهم لا يحسنون العدة للتأليف ، فتحصيلهم سطحي هزيل ، ولذلك لم يكن غريباً يكون نتاجهم فجاً . وأعرف ممن يكتبون للمسرح من لم يقرأ رواية أجنبية واحدة ، فاذا سألته عن شغفه بالتأليف أجابك في زهو أنه مواظب على حضور التمثيل في فرقة فلان أو فلانة

وأبين مواطن الضعف في المسرحية المصرية جهل بصياغة الرواية وحبكة حوادثها في منطق سليم يستثير اهتمام الجمهور في غير افتعال أو خروج على المعقول ، كذلك ميل إلى معالجة الموضوع بطريقة سطحية يُهدر فيها جانب الشخصيات في الرواية فيبدون تحفاء مهازيل من حيث التحليل النفسي . أما الأسلوب الذي يكتبون به فتعلوه مسحة من التكلف والنزوع إلى الاتيان بمهجور اللفظ والمبالغة في سرد المترادفات والجود بالألفاظ في إسراف معيب . فاذا خلا من هذه العيوب في بعض الأحايين ، فلكي يقع في قص الحديث والسرد . وإذا قلت إن قليلاً ، وقليلا جداً من مؤلفينا يحسنون جدل الحوار لما قررت غير الواقع .

وأعتقد أنه يجب أن يمر زمنَ طويل حتى نحسن صناعة تأليف الرواية المسرحية . والعلة فى هذا ترجع إلى أننا نعمل فى جديد دخيل فى آدابنا

فقلت له : « وما رأيك فى الروايات التى تترجم للمسرح المصرى . ومن هو أحب المؤلفين إليك ؟ » وقد أجابنى قائلاً « أكثر هذه المترجمات من هزيل الروايات الغربية ذات الصبغة القاتمة Melodrame أو ذات المواقف العنيفة المفتعلة . وقد تهافت أصحاب الفرق التمثيلية على نقل هذا النوع من الروايات لسهولة اخراجه على المسرح ، ولأن نقله إلى العربية لا يحتاج إلى الكثير من الصناء الذى يتطلب زيادة الأجر فى نفقات الترجمة . هذا فضلاً عن أن هذه الروايات تستهوى الأكثرية الغالبة من الجمهور ، وهى أكثرية ساذجة التفكير لا تميل إلى إعمال الروية فيما يقدم إليها على المسرح . ولا يخفى عليك أن الجمهور المصرى لم يتعود إشغال الفكر فيما يراه فى دور اللهو ، ولم يطالعه فن التمثيل باللسان العربى إلا منذ سبعين عاماً ، وفن التمثيل ظاهره لهو وباطنه تهذيب وتثقيف

ومن العجيب أن كثيراً من روايات « موليير » وبعض روايات كورنيي وراسين ، وهم من عباقرة المؤلفين المسرحيين قد نقلت إلى العربية فى أوائل عهد مصر بالتمثيل ولكنه كان نقلا مشوهاً مسخت فيه معالم تلك الروائع الفنية فخرج بعضها يتعثر فى أسلوب من العامية والبعض الآخر يتنكر فى أسلوب ركيك محشو بالسجع مطبوع بالتعابير (الكليشيه) التى مج استعمالها وأنكرتها الآذان

وتقدمت عملية النقل فى السنوات الأخيرة ، وتنبهت وزارة المعارف أخيراً إلى ضرورة تغذية المسرح المصرى ببعض من نفائس الأدب المسرحى فترجمت عدداً منها ترجمة أنموذجية ، وقامت بطبعها متوخية فى عملها هذا أن يطالع المتأدبون على أنفس الذخائر الفنية فى المسرح الغربى ، وأن يتأثر بطابعها من يعالجون التأليف المسرحى فى مصر . ولاغنى لنا عن المسرح الغربى فى هذه المرحلة ، مرحلة الاستساغة ، ولكن هذا يجب ألا يصرفنا بأى حال عن العناية بالرواية المصرية وتشجيع مؤلفيها . ويجب ألا يكون قياسنا فى الحكم عليها مايعمر رؤوسنا من آثار توابغ المسرح الغربى ، فنحن ما زلنا فى دور المحاولة ، محاولة جعل الرواية المسرحية شعبة من أدبنا المصرى الحديث

والاحظ أن أكثر مترجماتنا مأخوذ من الأدب الفرنسى ، بل يكاد يكون مسرحنا (لاتينياً) فى نزعته ، وما هذا بعجيب فثقافتنا لاتينية منذ القدم كما أن مزاجنا يكاد يتشابه بالمزاج اللاتينى ، وذلك بحكم أننا من أبناء شواطئ البحر الأبيض المتوسط ومصر هى الضفة المقابلة لايطاليا

ولكن ما أحوجنا إلى أن يتعرف الجمهور والمتأدبون إلى آثار الأدب الجرمانى وأدب الشمال والأدب الأمريكى الشاب الذى هو خلاصة آداب مجتمعة ، فمسرحنا لم يتعرف بعد إلى « أبسن » النرويجى و(استرنبرج) السويدى و(هوبتمان) الألمانى و(أوجين أونيل) الأمريكى

وأحب المؤلفين المسرحيين إلى هم (موليير) الفرنسى ، و(أبسن) النرويجى ، و (شاكسبير) الانجليزى . ولى ولع خاص بمطالعة أعمال موليير لأنها علمتنى الاعتدال (La mésure) ، وهى صفة أقر بافتقارى اليها ، وطالما كان حظى الصغير منها سبباً فى أخطاء أتيتها فى حياتى ، ولأن فى موليير مجتمع كاملة شخصيات الشاعر الانسانى ، والكاتب المسرحى والممثل ، فهو رجل مسرح بحق

وتهزنى مآسى شاكسبير بروعتها ، وفيض عواطفها ، وهى مآس عاطفيه تركزت فيها الانسانية بأسرها

أما (إبسن) فهو أبو المسرح الحديث وأستاذ أساتذة توابغ المسرح الغربى ، وهو الطود الشامخ وغيره الكثبان الرملية والتلال . وفى ضباب مآسيه غموض الحياة وظلام المعرفة الذى لاتنقع علته ، وفى نضال شخصياته أروع مآسى الحياة الفكرية »

قلت له وما رأيك فى استقدام الخبير الفنى الذى تنوى وزارة المعارف استقدامه من الخارج ؟ فأجاب « سبق أن صرحت برأيى فى ذلك ، وهأنذا أكرر ما قلته : وهو أن فى استقدامه ما قد يبصرنا بما خفى علينا الأخذ به من وسائل ترقية المسرح المصرى وإذاعة آثاره ؛ وأرجو أن توفق الوزارة فى اختيار أحد الرجال البارزين فى المسرح الأوربى ؛ ولعل فى استقدامه واضطلاعه بشؤون الفرقة القومية ما يقضى على أسباب الفوضى المتفشية فى هذه المنشأة الجديدة ، وهو الأمر الذى عجزت عنه وأعيانى أمره »

يوسف تادرس